

الهرمل كـ«جزيرة» لرواد السياحة البيئية الهاربين من ضوضاء المدن ركان الفقيه

الهرمل :
تكتسب الاشياء معنى آخر كلما اقترب الزائر من «صحارى» و«عاصي» و«جروود» الهرمل، ويتلاشى صخب الحياة مخلبا المكان للسكون التام، والغوص عميقا في السحر اللامتناهي للطبيعة الفاتنة أحيانا والموحشة أحيانا اخرى، لكن سؤالا غريبا لا بد ان يرتسم في المخيلة، يغلف ذلك الهدوء وسحر الطبيعة البكر، وتتوالد عند نهايته كل علامات الاستفهام.

هل يمكن الفقر ان يكون ثروة لا تقدر بثمن في بعض الاحيان والاماكن؟
ربما لان التقدم بات أبنية صماء وأسفلت وسيارات وضوضاء، تشق عباب السماء المشبعة بشتى أنواع الغازات والسموم القاتلة .

تبدو هذه الحقيقة عارية ومباشرة أمام ناظري أي «مغامر» يقرر زيارة منطقة الهرمل التي حولها الفقر نفسه الى «جزيرة» لرواد السياحة البيئية، والهاربين بعيدا عن تلوث هواء المدن بالدخان الاسود المنبعث من آلاف المصانع والمولدات الكهربائية ومحركات السيارات الى ممارسة رياضة «الرافتنغ» في نهر العاصي وسائحين يتمتعون بما تحويه المنطقة من عناصر طبيعية متنوعة، بدءا بالسهل شبه الصحراوي الذي يمتد من شمال مدينة بعلبك وحتى الحدود السورية اللبنانية، مروراً بنهر العاصي الأكثر غزارة ونظافة وتنوعا بيولوجيا من بين أنهار لبنان، صعودا باتجاه الجروود العالية التي لا يزال أبنائها يحتفظون بالكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية وعلى رأسها إكرام الضيف والتضامن خلال الافراح والاتراح، وحيث يكتمل المشهد السياحي في المنطقة بوجود الكثير من المعالم الاثرية كقاموع الهرمل ودير مار مارون وقناة زنبوبيا وصخرة نبوخذ نصر والكنيسة البيزنطية في قرية بريضا وغيرها من المواقع الاخرى .

رحلة مائية

يطول السفر وسط «الصحراء» كي يمكن الوصول الى «مملكة» الفقر والسحر والغبار كما يصفها الشاعر شوقي بزيع الى ان يلوح في الافق قاموع الهرمل الذي تتجه اليه الانظار من البعيد، ويرسم حدود مشهد آخر مختلف تماما، خارج من جوف الصحراء، يفيض اخضرارا وحياء، انه العاصي المتفجر تدفقا وغزارة، وقد بات الموقع الاول في لبنان والشرق الاوسط للممارسة رياضة «الكانوي - كاياك» التي دخلت كل بيت في لبنان كما يقول مدير نادي «رافتنغ سكواد» نور المقهور بعد ان بدا كامل الاستعداد والفريق التابع له لقيادة الزوارق المطاطية التي تنتظر السائحين لنقلهم في رحلة داخل النهر تمتد ما يقارب الساعتين ويتم خلالها اجتياز العديد من الشلالات والمساقط المائية التي يشكل المرور عبرها قمة المتعة والتحدى والسعادة. ويشرح المقهور أهمية هذه الرياضة من الناحية البيئية قائلا: «ان لعبة الكانوي - كاياك ترتبط مباشرة بالسياحة البيئية، لأنها علاقة بالمياه والطبيعة وتجربة تجمع بين الاكتشاف والمغامرة، وباتت تستقطب الشباب من مختلف الاعمار، حيث يجد السائح نفسه وسط الخيم والبيوت الخشبية والاسقف المصنوعة من القصب وحياء مختلفة تماما، تبدأ بالطعام القروي الخالي من المواد الكيماوية والمشاركة في سهرات النار، تتوجها الرحلة بواسطة القوارب المطاطية وسط مياه النهر.»

«الجورد»

تنتهي الرحلة «المائية» في مياه العاصي لتبدأ الرحلة «البرية» نحو مشروع «الجورد» للسياحة البيئية عبر طريق مليئة بالحفر بالرغم من المشهد المزيف للأسفلت الى ان تظهر مرجحين التي تبدو صورة مصغرة لسهل البقاع. وتستمر الرحلة باتجاه غابة الارز المجاورة، وصولا الى ذلك المثلث الذي تلتقي عنده أفضية الهرمل وعكار والضنية وفي نقطة تبدو كأنها قطعة من الجنة، تتكئ على كتف الغيوم التي تملأ الاودية السحيقة المحيطة والغنية بكل أنواع الاشجار .

يتأهب مدير مشروع «الجورد» للسياحة البيئية حسين منجد علوة لاستقبال الوافدين بعد رحلة طويلة وسط الاودية وعبر الطرق الترابية الضيقة، حيث تبدأ الطقوس الخاصة بزيارة المشروع على أكمل وجه من خلال استقبال الضيوف بالترحاب والقهوة المرة والجلوس في الطبيعة، دون أن تتأخر الدعوة لتناول الطعام داخل خيمة مصنوعة من شعر الماعز وفي الوقت الذي يتم البدء بتناول الطعام الريفي، يباشر علوة شرح طبيعة المشروع الذي يشكل نوعا من المحمية الطبيعية الغنية بأشجار اللزاب والارز والشوح وأنواع عديدة من الحيوانات والطيور. ويضيف علوة «تتوسط المخيم مجموعة من الابنية المكونة من الحجر والطين ويعلوها سقف خشبي مقوس ومتوج بالطين ونبات البلان الشوكي واستخدام الطاقة الشمسية في تسخين المياه، والقناديل للاضاءة خلال الليل، أما بالنسبة لبرنامج الزيارة فإنه يضم العديد من النشاطات كالمشي في الهواء الطلق وصولا الى القرنة السوداء وركوب الحمير والدراجة الهوائية وتسلق الصخور والتي تختتم بسهرة نار يتخللها الغناء والرقص والدبكة الشعبية.»

مشكلات القطاع

يطول الحديث ويمتد خلال تناول الطعام ليطاول الانطباعات التي كونها السائحون عن المنطقة والمشكلات التي تواجه قطاعها السياحي حيث يلخصها عضو المجلس البلدي ورئيس لجنة السياحة في بلدية الهرمل وفيق قانصوه الذي رافق الوفد وتمثل بالغياب المطلق لدور الوزارات والادارات الرسمية، ناهيك عن حالة العشوائية التي تطبع لعبة الكانوي - كاياك وإبادة الثروة الحرجية وسوء شبكة الطرق المؤدية الى المواقع السياحية والاثرية وتعرض بيئة نهر العاصي للكثير من مخاطر التلوث، ناهيك عن الصورة النمطية والمغايرة لحقيقة المنطقة التي يكونها الكثير من اللبنانيين والتي يلعب بعض الإعلام دورا في تعزيزها. ويوضح قانصوه أن هذه المشكلات باتت في عهدة وزير السياحة فادي عبود خلال زيارة قام بها للمنطقة مؤخرا ورؤيته بالعين المجردة مدى أهميتها من الناحية الجمالية والامكانيات الموجودة فيها ومعالجة كل تلك المشكلات التي تعيق تطورها، أملا أن تتحول مواجهة ومعالجة تلك المشكلات الى أولوية لدى وزارة السياحة. وبلغت قانصوه الى ان المجلس البلدي الجديد لمدينة الهرمل واتحاد بلديات القضاء سيجعلان عملية الاهتمام بالسياحة عموما والسياحة البيئية على رأس أولوياتهما .

ينتهي أعضاء الوفد زيارتهم لمشروع «الجورد» ويتوجهون نحو موقع آخر قريب للسياحة البيئية وهو مشروع «لزاب» عند سفح القرنة السوداء ووسط أشجار اللزاب الكثيفة حيث يطل على منطقة البقاع وحتى أعماق الاراضي السورية ويضم العديد من الغرف التي اعتمد في بنائها مبدأ البساطة مراعاة لطبيعة المكان واستعمال المواد التي تتلاءم والمناخ السائد وتأمين الحد الاقصى من الراحة والهدوء للسائح، بعيدا عن كل أنواع التلوث الكيميائي والسمعي والبصري .

يكرر الجميع إعجابهم ودهشتهم بما شاهدوه خلال يومهم الطويل في منطقة الهرمل وبالجهود الفردية لأبنائها ويتعهدون بالعودة قريبا مع عائلتهم من أجل قضاء أطول وقت ممكن في ربوعها .